بسم الله الرحمن الرحيم

- المشورة 25-

الحمد لله ربّ العالمين، يا ربّ صـــلّ وســـلم وبارك على حضـــرة خاتم أنبيائك، سيّدنا وحبيبنا ومولانا محمّد، وآله وصحبه أجمعين.

ذكرتُ أنّنا نركّز -إنْ شــاء الله تعالى- في هذه المحاضـرات الأخيرة على المعالم العظيمة الكبيرة التي ظهرت في المرحلة الثالثة خاصـة، وكنت أتحدث وأتشـاور مع حضــــراتكم حول مَعْلَم التفاعل والتحقيق بالتوحيد، والتفاعل مع النصــــوص الشـــريفة، والبلاء والأذى الذي يُبتلى به من آمن بالله - تبارك وتعالى- وأراد أنْ يســير إلى الله -عزَّ وجلّ- فإنّ الســائر إلى الله - تبارك وتعالى- ســتوضــع أمامه عقبات، فهل اجتازها أم لا؟هنا يثبت صــــدقه، تثبت محبته، يثبت إيمانه، قال الرسول الأعظم -صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم-

(إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ) الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى.

الاعتياد على المســاجد صــورة من صــور التأكيد على التحقيق في التفاعل مع النص،فمع وجود معوِّقات لكنَّه اعتاد أنْ يحضــر المســاجد، لم يمنعه مانع غالباً، إلا الموانع الشـــرعيّة، لم يمنعه مانع إلا الأعذار الشـــرعيّة التي تُبيحُ له عدم الحضـــور،أمَّا في غالب الأزمان وغالب الأوقات فهو من الحاضــرين، وربَّما حتّى قبل النداء لوقت الصلاة، ومرّة سمعت أحد الصالحين -ولا أزكّي أحدًا على الله-عزَّ وجلَّ- لكن أحســبه كذلك- قال عبارة أثَّرتْ فيَّ، قال: "بئس العبد الذي لا يأتي إلا إذا دُعِي"،فقال: أنا أحاول أنْ أحضر إلى المسجد قبل النداء إلى الصلاة،

لأنِّي أرى نفســــي عبداً لله - تبارك وتعالى- والعبد الحقيقي هو الذي يكون في خدمة مولاه دون أنْ يصـــدر المولى له الأوامر، أو يبعث إليه بالطلبات، فكان يكرّر هذه الكلمة أو هذه الجملة: "بئس العبد الذي لا يأتي إلا إذا دُعِيَ"؛ بمعني أنت لا تأتي حضرتك إلى بيت الله -عزَّ وجلَّ- إلا أن يقال لك: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح! فهم درجات عند الله - تبارك وتعالى- هؤلاء هم أهل الذوق الرفيع، نسأل الله - سبحانه وتعالى- أنْ يعلّمنا صفاتهم، ويجعلنا ممّن نقتدي بهم.

المهم: الســائر إلى الله - تبارك وتعالى- يجدُ معوقاتٍ، يجد شــدائدَ، ويرى أمامه عقباتٍ، فإنْ هو صَـمَدَ وثبت، وتحمّل شـدّة الأذى، جاءته المعونات الرّبَّانيّة من الله - سبحانه وتعالى- إمّا بقدرٍ كونيٍّ، وإمّا بتسخير من الله - تبارك وتعالى- لأنَّ لله -تبارك وتعالى- مخلوقاتٍ آتاهم الله -سـبحانه وتعالى- بعض التخصّـصــات، ومنحهم -سـبحانه وتعالى- القوّة على بعض التصـرُّفات، وهذه التصـرّفات تأتي موافقة لتسديد وتقويم وتثبيت هذا السائر إلى الله -سبحانه وتعالى- وقد قال سيّدنا رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم:-

(... وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ) الإمام البخاري رحمه الباري تعالى .

ســبحان الله! ورأينا حقيقة هذه الصـــور في هذه المرحلة -كما بيّنْتُ- ابنا ربيعة يكرمان النبيّ - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- في بستانهم، مُطْعِمُ بْنُ عَدِيّ يجير النبي -عليه الصلاة والسلام- بعد عودته من الطائف، تحقق يقينًا أنّه لا يستطيع أنْ يدخل مكة إلا تحت حماية وحراسة مشدّدة، وإلّا سيُقْتَل؛ لأنَّ القوم عزموا على قتله، انتهى الموضــــوع،فمن كان أمامهم ويحســبون له حســـابًا ذهب،ومن كان يحمي النبي - صـــلّى الله تعالى عليه وآله وصــحبه وســلم- في

موازينهم البشـرية رَحَل، فمنهم من رَحَل إلى الدار الآخرة، ومنهم من بقي ولكن أصابه الضعف بسبب إصرار النبي - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- على موقفه، وعدم مداهنته لأهل الشرك والكفر،فضَعُفَتْ مواقفهم،بمعنى: يقولون له: نحن وقفنا معك مرة، مرتين وثلاثة،الآن لا نقدر أنْ نعارض القوم كلهم،أو نعارض العشيرة من ألفها إلى يائها، فاذهب أنت وتلقّى جزاء ما تقوم به.

فالرسول الأعظم -عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أهل الطيب- ما استطاع أنْ يدخل مكة إلا تحت حماية وحراســة من مُطْعِمُ بْنُ عَدِيّ وأولاده الذين حملوا السلاح، ومشـوا مع رسـول الله - صـلى الله تعالى عليه وآله وصـحبه وسـلم- وأعلنوا أنَّه أجار النّبيّ -عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين- بلْ نستطيْعُ أنْ نقول:إنَّ القدر الإلهي والكون كلّه لله - سبحانه وتعالى- يُسخَّر لك أيُّها المُصرُّ الصّــادق، يا من تحمّلت الأذى والاضـطهاد، يســخِّر لك -سـبحانه وتعالى- كلَّ شيءٍ، هذا مثلًا تجدونه في الأَرَضَة التي أكلت صحيفة المقاطعة، عندما قرَّرتْ قريش مقاطعة النبي - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- وحصاره هو وأتباعه، وحصــار حتى بعض من انضـوى تحت لواء النبي - صـلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- غَيْرَة العشيرة، أو غَيْرَة لصلة القُربى، لم يكونوا حتّى من المؤمنين، دخلوا تحت الحصــار مع رسـول الله -صـلى الله تعالى عليه وآله وصـحبه وسـلم-فكُتبت الصـحيفة، وعُلّقتْ في جوف الكعبة الشـريفة، وسـميت بصحيفة المقاطعة.

ثم انظروا:إنّ الله -عزَّ وجلَّ- كان يمكن أنْ يبعث الأرَضَة من أوَّل يومٍ لتأكل هذه الصحيفة، ولكنَّ الله -عزَّ وجلَّ- لم يفعل ذلك، وهو قادر على كل شيء، كان الله-

عزَّ وجلّ- قادرًا على أنْ يُنزل جائحة بقريش تمنعهم من مقاطعة النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- لكنّ الله -عزَّ وجلّ- يريدُ أنْ يحقِّقَ ويبيّن للعالَمينَ أجمع بأنَّ هذه المرحلة من حياتهم - منذ التكليف إلى أنْ يأخذ الله -عزَّ وجلَّ- أمانته- هذه المرحلة هي مرحلة ابتلاء واختبار، ونضوج وإنضاج،فالطعام يحتاج إلى نار حتّى ينضج،لا يمكن للإنسان أنْ يأتي في حالة طبيعية ويأكل اللحم نَيّئًا كما تأكلُ سباع الطير والوحوش - نعوذ بالله تبارك وتعالى- لا، وإنَّما لا بُدَّ أنْ يُشوى هذا اللحم على النار، ويوضع على النار، حينما يشوى ويوضع على النار ينضج ويُستساغ، بل يكون لذيذًا،وربَّما للذَّته يصدُق في بعض الناس قول القائل:

"قوم إذا سمعوا بمكة أكلة *** حجوا لها قبل الحجيج بعام"

فالطعام له لذة، وله جذب،وإلى آخره.

فالله -عزَّ وجلَّ- يريد أنْ يبيّن أنَّ المسلم يحتاج إلى أنْ ينضج؛ لأنّه سيتحمّل تكاليف مسؤوليات إدارة دولة، والدولة فيها رغبات وفيها شهوات، فيها أموال وفيها زينة وفيها مناصب، وكلها صحيحة وليست خطأ، هذه نِعَم الله -عزَّ وجلَّ- على الناس.

مرة أحد الطلاب في محاضرة، سُمِعَت أصوات سيارات النجدة والشرطة في دولة كنتُ مقيماً فيها، فهذا الشاب مثل بقية الناس، غالب الناس - كما ذكرتُ سابقاً- دائماً مع الأسف، يتسرّعون في اتهام الحكومات، يتسرّعون في الكلام على الرؤساء والملوك وكذا، هؤلاء متكبرون، هؤلاء متعجرفون، هؤلاء طغاة، وكذا إلى آخره،من دون أنْ يقتربوا منهم، من دون أنْ يسمعوا منهم، من دون أنْ

يراعوا واقعهم،أنْـتَ لا تـدري يـا من تجلس في بيتـك ، مـاذا يُحِيْطُ برئيس دولتك،أنالا أدافع عن الناس،أنا أذكر بشـكل عام، رئيس الدولـة -الله أعلم- ما هو وضــعه، لكن الذي يجسّــد هذا المعنى حتّى نفهمه أحبتي: يقال:إنّ امرأة ركبت فرســاً، فهاجتْ بها الفرس، وكادت أنْ تســقط فتدقّ عنقها، في هذه الأثناء من اضــطراب الفرس وهيجان هذا المركوب شـدّة الريح كشــفت عن فخذ المرأة، ثيابها رُفعتْ قليلاً بفعل الريح، وهي متشــبثة بعنق الفرس تخشــى أنْ تقع؛أحد الرجال الجالسين المستأنسين صَرَخَ بها فقال:

- يا امرأة، غطّي عورتك!

فهي بكلّ ذكاء وبكلّ سرعة بديهة وعلى الفطرة، قالت:

- كن في محلي وغطِّ عورتك!

انظروا إلى هذه؛لأنّ فيها حكمة، أنْتَ لا تنتقِد الناس بمجرد أعمالهم، انظر في أي واقع هم، وأنت جالس مستأنس ومرتاح وتصدر اتهامات للناس، هذا طاغية، وهذا ذيل، وهذا كذا،وهذا كذا، لا،ونحن لا ندافع عن الخونة حاشـاكم، ولا ندافع عن الذين يؤسّسون للخيانة، لا، وإنّما نحاول أنْ نعذر المخلصين من أهل وطننا، من أهل تأريخنا الإسلامي.

فمثلاً:يأتي أحدهم ويتكلم على ســيدنا عمر بن عبد العزيز إلى درجة أنّهم ذهبوا قبل أيام واعتدوا على ضريحه الشريف - رضـي الله تعالى عنه وعنكم- أو يأتي أحد ما ويقول: سـيّدنا عثمان- رضــي الله تعالى عنه- قرَّب أقاربه!هل أنْتَ كنت

في مكان سـيّدنا عثمان - رضـي الله عنه- ونظرتَ ما يدور حوله حتّى تأتي وتحكم على تصرفاته؟

المهم حتى لا نَبْعُد،فالله -تبارك وتعالى- يريد أنْ يبيّنَ من خلال هذه المعوّقات أمره -سبحانه وتعالى- وفعله وقدرته، ويبيّن منزلة الصَّادقين، هؤلاء الذين قِسم من الملائكة قالوا لربّ العالمين- سبحانه وتعالى:-

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ...} [سورة البقرة: 30]

الله - تبارك وتعالى- يريد أنْ يري هؤلاء الملائكة كيف أنّ مِنْ هؤلاء الذين انتقدتموهم أو اعتقدتم أنّهم يسفكون الدماء كلهم ونحن نسبّح، انظروا، فيهم مسبّحون، وفيهم أنبياء،وفيهم أولياء،وفيهم دُعاة صادقون مخلصون، مع كل ما يمُرّ بهم من شدَّة،ومايمرُّ بهم من شدَّة وعذاب، مع ذلك هم يحبونني ويعبدونني، ويأتون إليَّ، ولا يبتعدون عن ديني، وهكذا.

فهناعندما ينضج المُسلم حتى يتحمل هذه التكاليف الشرعية في قيام دار الإسلام، وإيصال الدعوة إلى الناس، ومراعاة الناس، والقيام على شؤونهم، فهؤلاء يُحتاج لهم، ففي الدّولة يوجد تنظيم وترتيب،ومنازل:

(أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ) أبو داود رحمه الله الودود تعالى.

فهذا الشابّ لمّا سمِع سيّارات النجدة، قال:هذا فلان خرج(يعني رئيس الدولة (دولتهم)ربّما يذهب إلى المطار، وأربكوا الدنيا!فتركته يتكلم حتّى انتهى من كلامه،بعدما تمَّتْ المحاضرة، قلت له:-

يا بني! اشكر الله -عزَّ وجلَّ- على نعمتين: نعمة الأمن، ونعمة الطعام، الله -عزَّ وجلَّ- تعبّد من فوق سبع سماوات- عباده بهاتين النعمتين، فقال سبحانه وتعالى بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:

{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ۝الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [سورة قريش: 3-4]

لولا الأمن الذي نحن نتمتع به الآن لما كنتُ استطيع أنْ أعطيك هذه المحاضرات، لولا الشّبع الذي أنْت فيه وأنا فيه لما كنا نستطيع أنْ نعيش ونجلس هذه الجلسة، نحن الآن مثلاً أحبابنا في العراق يدخلون إلى المساجد يصلّون الجمعة وأياديهم على قلوبهم، لماذا؟ لأنّهم لا يعرفون في أيِّ وقت ربّما لغم موضوع تحت المنبر سوف ينفجر، وقد حدثتْ، أو يدخل ضالٌّ- نعوذ بالله- مستأجرٌ خائنٌ إلى المسجد، ويفتح الرشاشة (سلاحه) على الناس الأبرياء،لا يميّز بين صغير ولا كبير ولا مريض ولا معافى، فأنْتم لا تصبحوا مثل بقيّة الناس تطعنون دائماً، قولوا: نحن - والحمد لله- جزاه الله خيرًا رئيسنا أو دولتنا حفظوا لنا الأمن والأمان، وعندنا وظائف،ويوجد أخطاء، حاولوا أنْ تصحِّحوا الأخطاء، ليس من الحكمة أنْ تهدِم البيت الذي بحاجة إلى صيانة وتقول:سأُعيد بناءه مرة أخرى، لا، قم بأعمال الصِّيانة ولا تهدمه؛ لأنّك إنْ هدمتَه لا تدري ما هي الظروف التي ستحلُّ بك، هل تستطيع أنْ تُعيد بناءه مرة أخرى؟

ولو أنّ الناس بكلّ صدقٍ وإخلاص توجّهوا بالحكمة بمنهج الله - تبارك وتعالى- إلى أكثر هؤلاء الذين يحكمون الآن بهذا المنهاج المبارك لأحدثوا تغييرًا كبيرًا

وخدمة جليلة للمسلمين،من دون سفكِ دماء ولا ظلم، ولا كذا، ولا كذا. قلت:هذا أولاً.

ثانياً:أنتَ تريد مثلاً رئيس الدولة أو الملك أو الأمير يمشي مثلكَ في الشارع في هذا الوقت وفي كلّ وقت؟ قال: ها؟قلت له: الرسول الأعظم - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- قال:-

(... وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى...) الإمام: البخاري رحمه الباري تعالى .

فأقرَّ الرسول -عليه الصلاة والسلام- أنْ يكون للملك حمىً، ورسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- كان يُحرَس إلى أن نزل قول الله - تبارك وتعالى:-

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...} [سورة المائدة: 67].

فلمّا تكفل الله -عزَّ وجلَّ- بحراسته وحمايته -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- أخرج رأسه الشريف من القبة التي أعدت له لحراسته وحمايته وخاطب الحراس، وقال:

(... يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ) الإمام البيهقي رحمه الله تعالى.

فقلت له:-

-فيجب أن نأخذ بالأسباب،فنصف الناس الذين يعيشون في هذا البلد ضد الدولة، ضد الحكومة، وضد النظام، وكذا كذا، يخرج الملك، يخرج الأمير، يخرج

ويمشي بالشارع هكذا من دون حراسة! ماذا سيفعلون به؟ سوف تحدث فوضى ويُقتل الملك، وكذا إلى آخره.

المهم أحبَّتي: فنحن يجب أنْ نكون واقعيِّين، يجب أنْ نفهم الأمور بتؤدة ،بيُسر،لا نستعجل،لا نستعجل حتى لو كان التوجيه في موضوع بسيط، لا تستعجل في إدارة الموضوع، تأنَّ وتثبَّتْ لأنَّك إنْ استعجلت ندِمتَ؛ ففي العجلة الندامة، وفي التأني السلامة، والتثبت واجب.

فالله - تبارك وتعالى- يريد أنْ يُنضِجَ هؤلاء، ثلاث سنوات أحب خلق الله إليه - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- محاصر، يضطر هو ومن معه إلى أنْ يأكلوا ورق الأشجار-إن وجد ورق الأشجار- :الله سبحانه وتعالى ألا يستطيع أنْ ينصره!؟ - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- نعم، يستطيع،ولكن الله - عزَّ وجلَّ- يريد أنْ يبيّن بأنّ المحبِّين ثابتون، صادقون في محبتهم، مهما أصيبوا، ومهما أُوذوا، ومهما حصل لهم، فركبهم سائر لا يتوقف.

فلذلك أجَّلَ الأرَضَة،تركها ثلاث سنوات لا تأكل كتاب المقاطعة في جوف الكعبة الشريفة، بعد ذلك ولِيُثبِتَها معجزةً لسيدنا رسول- صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- فقام الرسول الأعظم -عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام- في يوم وقال لمن معه من أهله وعشيرته وذوي النفوذ في عشيرته قال:-

(...إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ أَرْسَلَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ الأَرَضَةَ فَلَمْ تَدَعْ فِيهَا اسْمًا لِلَّهِ إِلاَّ أَكَلَتْهُ وَبَقِيَ فِيهَا الظُّلْمُ وَالْقَطِيعَةُ وَالْبُهْتَانُ...)الإمام البيهقي رحمه الله تعالى.

فأوصلوا الخبر إلى مكة،وانظروا - سبحان الله- بدأ التأييد الرّباني، بدأت العشائر والزعماء الذين ساهموا في كتابة المقاطعة، وأمروا بكتابة المقاطعة بعضهم انقلب على المقاطعة، ورأى أنّ هذا ظلم، وإلى آخر القصة(اقرأوا القصة في تفاصيلها،في كتب السيرة النبوية)

وبعد ذلك انظروا:ليميز الله - سبحانه وتعالى- الخبيث من الطيب،فكلّما يمرون بآية منهم من يؤمن ويذعن لله -تبارك وتعالى- ومنهم من يزداد جهلاً وتكبرًا وعنادًا -نعوذ بالله تبارك وتعالى- فبعضهم عندما ذهب ليرى أنّ الأرضة قد أكلت الصحيفة؟ فآمن وصدّق بسيّدنا رسول الله-صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- وأثّر فيه هذا الموقف وهذه الصورة، ومنهم من ازداد جحودًا وكفرًا، وقال: هذا من سحر محمّد!-اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه-

انظر إذن:هذه الحشرة البسيطة ساهمت في إظهار الحق، ودعمًا للمؤمن الصابر الذي صبر صبرًا جميلًا، المؤمن الذي هجر هجرًا جميلًا، المؤمن الذي وقف على قدميه حتّى تورّمت أقدامه الشريفة -صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم- ومع أنّها تورّمت في محراب العبوديّة لله -عزَّ وجلَّ- أُدْمِيتْ في مجال الدعوة إلى الله -عزَّ وجلَّ- في الطائف، ولا ضجِر هنا من طول القيام، ولا هناك من كثرة سيلان الدماء -صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم-!

فالمؤمن لا يتزعزع، المؤمن لا يفقِد توازنه، فإذا ثبتَ ونضج يُبشِر بفضل الله -تبارك وتعالى- فالعُسر لا بُدَّ أنْ يكون معه اليسر:

(... لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ)الإمام مالك رحمه الله تعالى.

(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) [سورة الشرح: 5-6]

إذن: المؤمن طالما هو مع الله -تبارك وتعالى- فهو في يُسر، نعم يأتي العسر لأجل إنضاجه أكثر وأكثر، ورسول الله-صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- لا يحتاج إلى إنضاج -عليه الصلاة والتسليم- وإنّما لأنّه مَثَلٌ، لأنّه قدوة؛ لأنّه أسوة -بأبي وأمّي ونفسي -صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- فتجد مثلاً في السيرة النبوية الأرَضَة تأكل صحيفة المقاطعة،والحمامة تبيض على فمِ الغار،والعنكبوت يبني بيته وينسج على فمِ الغار.

"ظنّوا الحمام وظنّوا العنكبوت على *** خير البرية لم تنسج ولم تحم

مولاي صل وسلم دائما أبداً *** على حبيبك خير الخلق كلهم"

صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم.

وهكذا فإنّ الله -عزَّ وجلَّ- يؤيد المؤمن الصابر التقي، الذي لا يتزعزع بما لا يخطر بباله أبدًا، فالله -عزَّ وجلَّ- على كلِّ شيء قدير:

{...وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ...} [سورة المدثر: 31]

سبحانه وتعالى-وكذلك الفَحل الذي ظهر لمن أراد أنْ يتعدّى على خير البشر-صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- فنكص على عقبيه ورَجع، هذا الفحل من الإبل،فالله -عزَّ وجلَّ- يؤيد ويحقّق ويبيّن آياته - سبحانه وتعالى-.

إذن: المدد الغيبي سواء بقدرٍ كونيٍّ محضٍ كان أو بتسخير خلقٍ من خلق الله -تبارك وتعالى- سواء أهذا المخلوق كان زعيماً كسيّدنا النجاشي -رضي الله تعالى عنه- أو رئيساً لقبيلة وعشيرة أو كان شخصًا فرداً مثل: ابنَي ربيعة،وسيّدنا

عدّاس -رضــي الله تعالى عنه-ومُطْعِمُ بْنُ عَدِيّ، - الذي أتى بأفراد من عشـيرته أو بعض أبنائه لحمايته صـلى الله تعالى عليه وآله وصـحبه وسـلم- بل أكثر من هذا كما ذكرتُ قبل قليل:ربَّما تكون المعونات من قبل مخلوقات أقلّ شـأناً من الإنسان كالدّواب -أجلكم الله سبحانه وتعالى- وهذه كلها -أحبتي- ظهرت في هذه المرحلة.

كذلك من عالم الغيب مثلاً: إيمان الجنّ بسـيّدنا رسـول الله-صـلى الله تعالى عليه وآله وصـحبه وسلم- كأنّ الله -عزَّ وجلَّ- يُطيّبُ خاطره -عليه الصـلاة والتسليم وعلى آله وصحبه الكرام- ويقول له:إنْ كذَّب بكَ هؤلاء (أهل الطائف) وهم بشر من البشـر فإني سـأرسـل لك من يصـدّقك ويؤمن بك ويقف داعياً إلى الله -تبارك وتعالى- معك وهم من عالم الغيب:

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ}[سورة الأحقاف: 29]

فهذه كانت –على أرجح الأقوال- بعد مشكلة الطائف، بعد اختبار الطائف:

{ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ}[سورة الأحقاف: 29]

لم يناموا ولم يجلســوا أيها الداعي!ولم يقولوا والله نحن كبرنا بالســن أو نحن تمرضنا،لنقعد، ولا قالوا ليس شأننا، نحن لا دخل لنا، هذا خاص بالبشر، وليس لنا، لا، فهموا جيدًا ومباشرة:

{ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ}[سورة الأحقاف: 29]

لا بُدَّ للمؤمن أنْ يكون داعياً:

(بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)الإمام البخاري رحمه الباري عزَّ وجلَّ

أمّا أنْ تجلس أيّها الدّاعي، وتريد الناس يأتون يقبلون يدك، ويقفون لك باحترام، ويدعونك إلى ولائم وعزائم، ويقدّمون السفرة الكبيرة العظيمة التي لا تُحمل إلا على أيدي رجال أشداء أقوياء! فولله هذه تجارة،وزعامة -نعوذ بالله -تبارك وتعالى- لا، لا بُدَّ أنْ تبذل أكثر من غيرك، لا بُدَّ أنْ تقدّم أيّها الدّاعي أكثر من غيرك، لا بُدَّ أنْ تضحّي بصحتك وعافيتك ومالك لله -تبارك وتعالى- حتّى يظهر معدنك النّقي الصافي، الذي يمكن للناس أنْ يستفيدوا منه، وإلّا فالمعدن المغشوش مهما تفاقم وتعاظم فإنّه سرعان ما يزول، الشيطان ينفخ نفسه وينفخ حتى يصبح مثل البالون،وبمجرد أنْ يقول الواحد:أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم- البالون ينفجر ويذهب ويخنس نعوذ بالله -تبارك وتعالى-

{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}[سورة الرعد: 17]

فجاء إيمان الجن -هؤلاء من عالم الغيب-وجاءت المعجزات الكبيرة العظيمة، تعال يا حبيبي يا رسول الله-صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- أنت ضيّقوا عليك أهل الأرض؟تفضل إذن هذه ملكوت السماوات، كلّها ترحب بك، وتستعد لك، وأنت تستحق، وتفضل تعال إلى بساط القرب والأنس والحب والعطاء:

{إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى۞مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۞ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}[سورة النجم: 16]

الداعي لا بُدَّ أنْ يكون لـه معراجـه إلى الله -عزَّ وجلَّ- ليس هذا المعراج الذي صار لرسول الله-صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- ، لا يأتي أحد ويقول انظروا ماذا يتكلم هؤلاء؟! لا،بل المعنى أنْ تقف بين يدي الله -تبارك وتعالى- أنْ تكون لك أوقات محضـــة في القرب من الله -عزَّ وجلَّ- والأنس بالله -تبارك وتعالى- هذا معراجك أيّها الداعي إلى الله -عزَّ وجلَّ- وأســوتك وقدوتك ســيّدنا رسول الله -صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم-

إذن: هذه المرحلة أحبتي الحقيقة أنَّ فيها معالم أساسيّة كثيرة، منها: إنه لا بُدَّ من التفاعل وتقوية الإيمان،وترويض المؤمن على معاني الإيمان، ولا بُدَّ من الابتلاء، فلا تستغرب أبدًا؛ وهذه أيضاً أؤكدها على حضراتكم وعلى نفسي: لا تستغرب أنَّ واحداً يضيّق عليك بالوظيفة إلى أنْ يُخرِجك منها،لا تستغرب أيّها الدّاعي أنْ يأتي واحد ويقول لك: والله بجرَّة قلم أخرجك من الجامع، وقالها واحد لا أريد أن أذكر اسمه رحل إلى دار الحق -ونسأل الله الرحمة لجميع المسلمين- في بداية الاحتلال عندما علم أنَّ رأيي يناقض رأيهم،وغير منســجم معهم ومع مايريدون، وكما تعلمون أن جامع حيّ العدل جامع مهمّ، وكلّهم موجودون في المنطقة، فلابدَّ أنّ هذا الجامع يصبح لهم، وسعد الله لا يعطيهم الجامع، فأرسل خبراً، قال:إن لم تنصَع إلى أوامري فبجرَّة قلمٍ أخرجك من الجامع، قال سعد الله حسبي الله ونعم الوكيل، لن أتزعزع إنْ شاء الله تعالى، بفضل الله -عزَّ وجلَّ- أوّلًا، ثم ببركات مشايخي ثانيًا - رضي الله تعالى عنهم- وطيّب الله أرواحهم في الدنيا والآخرة، ما استطاع أن يجرّ جرّة قلم،بل هو أُخرِجَ من المنطقة كلّها، بلْ حتى من الدَّولة، اضطرّ إلى أنْ يرحل.

انظروا: لا بُدَّ من الثبات، لا بُدَّ من عدم الزعزعة، سبحان الله العظيم، لا بُدَّ للداعي أنْ يمرَّ بأكثر الظروف التي مرَّ بها خير البشر- صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- لكنْ بنسبٍ مختلفة،يأتيك تهديد أيها الداعي، عرْضُ وظائفٍ،أموال،وقد ذكرتُ لكم موضوع الوزارة،فهذا عرض، وعرض مغرٍ، وأذكر لكم عرضاً بسيطًا، ففي مرة جاءني أحدهم وقال:-

الوالد يسلّم عليك -لا أذكر أسماء قلت: عليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته قال: يقول:إذا يسمح لنا نرسل له حماية (اثنين من الشباب) ومسدّسًا شخصيًّا نعطيه له، قلت له: سلّم لي عليه،لستُ محتاجاً إلى حماية، ولست محتاجاً إلى مسدّس، فهذا عرض يسيل له لعاب كثير من الناس، لمثل هذا العرض وغيره، فاستغرب الشاب، قلت أبنَيَّ، نحن ليس عندنا شيء مع الناس،فلماذا نحمل سلاحاً؟ لماذا نضع أنفسنا في موضع التهمة؟ نحن أناس جعلنا الله تعالى تحت أقدام سيد الخلق -صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- الذي أرسل رحمة للعالمين،والذي كتبه ربّ العالمين يكون، والحمد لله ربِّ العالمين.

إذن: هذه المرحلة -الحقيقة- التدقيق فيها يكون على هذه الأمور،فلا بُدَّ من مرجعية،ولا بُدَّ من نقطة ارتكاز ظاهرًا وباطناً، ظاهرًا مثلا:دار، أنت عندك بيت، والآن نحن عندنا مساجد -الحمد لله- نسأل الله أنْ يعيدها بأتم وأكمل شكل لنا- هذه ظاهرية،ولكن أنت عندك منهج روحاني، هذا الجانب الخفيّ تغذّيه بأسسه الشرعيّة الصحيحة، وليقال عنك:أنتَ تريد أن تبني كهنوتية، وكذا وكذا إلى آخره، لا،أنتَ تبني بناءً نبويًّا شريفًا ربّانيًا عظيمًا، تتسلح في هذا البناء بالعلم

الشــرعيّ الصــحيح، بالنّصــوص والفهوم الذوقية العظيمة التي اســتنبطها ســادة أكابر،وعلماء أجلاء روحانيون مباركون، فأنت متسلّح بهذا العلم.

فلا بُدَّ إذن من مرجعية ظاهرة وخفية، الظاهرة تبيّن الصفحة الظاهرة للإنسان: جســم الإنســان،والخفيّة تبيّن روحه، فالرّوح من عالم الغيب، ولذلك الفارق بين المســلم والكافر أنَّ المســلم أو المؤمن يؤمن بوجود هذا الغيب الذي هو الرّوح، والكافر يقول:

{أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} [سورة الصافات: 16]

لماذا؟ لأنّه لا يؤمن بالصــفحة الخفية، صــفحةِ الغيب،ولكن نحن نؤمن بصــفحة الغيب، بل نعتقد أنَّ صـــفحة الغيب هي الجوهر، والبقية كلها مجرد عَرَض، مجرّد ثياب، وقد سمعت ورأيت هذه الحقيقة، قال لي سيدي حضرة الشيخ عبد الله -طيب الله روحه وثراه-يا ولدي!ســـيأتي عليك يوم تنزع هذا الجســـد عن روحك كما تنزع ثوبك عن جسدك، فهذه مرحلة الموت؛ لأنَّ هذا الثوب منْ هذه الدنيا، من ترابها، من تراب هذه الدنيا، من هذه المرحلة، فلا بُدَّ أن تنزع، تريد أنْ تذهب للمرحلة الأخرى؟يجب أنْ تنزع،وســـتجد حينما تنزع هذا الثوب فعلاً أنَّه كأنّه ثوب بالٍ ملقًى على الأرض -ســـبحان الله- فأين حقيقتك؟ في روحك، الرّوح عندما تتبدّل علاقتها بالجســـد، الجســـد ينزع، فعلاً يكون كخرقة أو ثوب بالٍ وملقى على الأرض، هذا الذي سمعتُه منه - قُدِّس سره-.

بعد ذلك -وأنا لســت مضــطراً حقيقة أنْ أذكر لكم كل أو أغلب ما جَرى لي؛ لكن لأنـي أراني مســؤولاً عنكم، ولا بُدَّ أنْ أجعلكم تلمســون الحقائق بأيديكم لا أنقلها لكم من عمق التاريخ الإســـلامي؛ حتّى لا يُقال: هؤلاء كانوا كذا،وكان زمانهم

غير زماننا، الله أكرمهم كرامات،وأراهم-سـبحانه وتعالى-، فأنا مضـطر لأن أقول هذا الكلام، وأعوذ بالله تعالى من شرِّ نفسـي، فسبحان الله العظيم قدّر الله -عزَّ وجلَّ- أنْ تخرج لي (دُمَّلَة) في صـدري صـغيرة، لكن -سـبحان الله- كانت مريبة، يعني كان زراقها مميّزًا جداً، وبمجرّد أنْ تلمسـها الملابس تغيب روحي - سبحان الله-أشعر بأذًى شديدٍ جدًا، ففي صلاة العشاء جاء أحد الطلاب الذين درّسـتهم في المسـجد،منذ أنْ كان في بداية السـادس ثانوي، ورأيت عنده نباهة وذكاء، وهو من الموصـل-الله يذكره بالخير- ويسـكن في حيّ العدل، والده -رحمة الله عليه-أيضـاً رجل فاضـل، كان دائماً يحضـر الصـلاة في مسجدي،ويحضُر الختم الشريف،لا أذكر بالضبط في أيِّ سنة،ولكن أظنّ أنه في بداية التسـعينات،سـنة 1992م هكذا،ولكن لسـت متأكداً حقيقة،(المهم التواريخ ليست مهمة) فصار طبيباً بتشجيع منّي، قلت له:أريدك أنْ تصبح طبيباً،فذهب ودرس الطب،تولّيته من سنة 78عندما بدأت في المسجد، من أوائل من تشرفت بخدمتهم،وكان في السنة الخامسة الطبية تقريباً،ويعمل أحياناً مع بعض الأطباء في عيادات خاصّـة مع بعض أسـاتذته،قال:شـيخي، تعالَ عندي للعيادة، وهذه بسـيطة أنا أعالجها لك، قلت له: خيراً إنْ شـاء الله، ذهبت إليه في اليوم الثاني، بعد صـلاة العشـاء، بعدما أكملتُ الصـلاة ذهبت له للعيادة،وكان أسـتاذه موجودًا،فقال له:هذه بسيطة، افتحوها،ولكن أظنّ أنها قويّة قليلاً، فحتّى لا تؤذي الشـيخ أعطه مخدراً موضـعيًّا، خيرًا أن شـاء الله،يجب أنْ تصـبر، جلب إبرة (حقنة)، وحقنني قريباً من الدمّلة، كانت الفانيلة (الملابس الداخلية) تكاد تُخرج روحي فكيف بالإبرة؟! فأعطاني إبرة، وإبرة ثانية،وثالثة ورابعة!قلت:يا سـاتر،

أخشـى أن تصـبح خامسـة؛وأنا أحبُّ رقم خمسـة!وفعلاً صـارت خمسـة؛فتخدَّر الموضـع قليلاً،فعندما يمسـكها (الدملة) لا أشـعر بها،ولكن خمس إبر كلّ واحدة تُخرِجُ الروح.

حاول أنْ يفتحها -سـبحان الله-لا تنفتح،ليس بها إي جِراحة (خرّاج/ قيح) فكلّما يفتح يظهر تلّيف، قلت: دخيلك! يكفي، ضـمّدني كيفما كان حتى أذهب، فتلاطف معي وقال:أنتَ عندما تقف تصلّي بنا عشرين ركعة في صلاة التراويح! وتأتي بالمدود كاملة (الحآقة)ألا تقول: نحن المسـاكين ورائك ما ذنبنا؟ (يمزح معي) قلت له: خيرًا إن شاء الله، تعني:أنّها واحدةٌ بواحدة!

المهم:لم يقدر على إزالتها، ولا تنظيفها؛ لأنها ليس فيها شـيء حتى ينظفه، فبعد يومين تورّمت -سبحان الله- وصارت مثل البيضة في صدري! بالضبط بحجم البيضـة؛فجَدُّ أولادي -رحمة الله عليه-أبو عبد الوهاب -وكان رجلاً أمياً - رحمه الله تعالى- لم يدرس في مدرسـة، لكن كان من أشـهر المقاولين في بغداد، وهو مَن نفَّذ قبّة (جامع) سـيّدنا الشـيخ عبد القادر الكيّلاني- قُدِسَ سـرّه- و بنى الكثير من المسـاجد، وكان يشـار إليه بالبنان، كلُّ رجال الأعمال تقريباً، الأطباء المشـهورون، أهلُ الثراء- لا يُعطون مشـاريعهم إلا لأبي عبد الوهاب -الله يرحمه-(حجّي عبد الرزاق العسّاف) فمنْ ضمن الذين عَمِل لهم أبو عبد الوهاب دكتور اسمه عزيز شكري، جرّاح عراقي مشهور جدًا،أظنه توفي-الله يرحمه- فعزيز شكري صديق أبي عبد الوهاب، فقال: غدا -إنْ شاء الله-آخذك إلى عزيز شـكري، هذه لا يُسْـكَتُ عنها، هذه مخيفة، هذه بحجم البيضـة دمّلة في صدرك!وهذا جرّاح وصديقي - طبعًا نحن نعرف الأطباء ومواعيدهم، فقلت له:

عمّو: هذا يحتاج شهرين، بعد شهرين ماذا سيحدث لي؟! يجب أن انتظر شهرين حتى يصل الموعد؟

قال: لا،أنت لا عليك، أنا آخذك عليه، هذا صديقي، وأنا بنيت له بيته، قلت: خيرًا إن شاء الله أظنّ أنه قال:في المنصور، في منطقة الأميرات أفضل المناطق في بغداد،المهم: ذهبنا واستقبل الطبيب عمّي - رحمه الله-، وقال:هذه بسيطة، تأتيني غداً إلى مدينة الطب، هناك أجري لك عمليَّة جراحية،ولكن من الآن أقول لك، يجب أن أعطيك مخدراً عامّاً ، قلت له: لا توجد مشكلة يا دكتور- وأنا مستغرب،كيف غداً سيعمل لي العملية؟! الموعد عنده يحتاج شهرين!المهم: رجعتُ،واتصلت على سيدي حضرة الشيخ عبد الله -طيب الله روحه وذكره وثراه-...

قلت له:سيّدي،وضعي هكذا، وغداً سأجري عمليّة جراحية!قال: من الطبيب؟قلت له: عزيز شكري، قال: ونعم الطبيب، هذا طبيب جيد، ومشهور ومعروف.

حتّى قِيل بعد ذلك وسمعت من أحد المرضى -عافاكم الله-أنه ذهب إلى دولة أوروبية،إمّا إلى بريطانيا أو ألمانيا، وكان عنده مشكلة صحيّة، فلمّا عرَضَ نفسه على الدكتور هناك بألمانيا أو بريطانيا...قال:أنتَ من بغداد؟ قال: نعم.قال:أنت عندك دكتور عزيز شكري أستاذنا، تركته وجئتَ لنا هنا؟!

سبحان الله! هكذا كانوا رجال العراق، نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أنْ يبرّز لنا رجالاً آخرين-إن شاء الله- والخير في هذا البلد خير وبركة، ونأمل-إنْ شاء الله- من

أحبابنا الدكاترة وبناتنا الدكتورات-إن شاء الله- يضربون أعلى المُثْل في الترقّي والتميّز والامتياز.

فقال سيّدي حضرة الشيخ:أبني!عندما يأخذونك إلى غرفة العمليات، كُن متوضــئًا،وابدأ بذكر الله - تبارك وتعالى- في ظلال ما تعلمتَ، يعني:في ظلال روحانية المرشد، الرابطة مع المرشد - قُدِّس سرُّه- وحاول أنْ تنسى كلَّ شيء إلا الله -سبحانه وتعالى-

لا أذكر كلَّ التفاصيل، بعض التفاصيل فقط: فدخلنا على ما أمر -قُدِسَ سرّه- وأدخلوني إلى غرفة العمليات،فجاءتْ الدكتورة المخدرة،عملها التخدير، فكانت مسكينة متبرجة بشكل كبير جداً، وبدأت تسألني، قالت: أنا سأعطيك إبرة (حقنة)، هذه الإبرة مخدرة؛ حتّى لا تشعر بألم، وبدأت تشرح لي...

قلت لها: بارك الله فيك،ولكن أتسمحين لي؟ قالت: تفضل.

ظننتْ أنّي اسألها عن شيء طبّي!قلت لها:أنا أعرف أنّ الطب يقرّب الإنسان من الله -عزَّ وجلَّ- فيا أختي! لماذا أنتِ هكذا؟ فهي غضبتْ عليَّ -وإلى الآن أذكر اسمها: بثينة الشمّري، لأنّها عندما جاءت وقدمت نفسها قالت: أنا الدكتورة بثينة الشمّري- فالدكتورة بثينة غضبتْ عليّ غضباً شديداً، وقالت أعطني يدك أعطيك إبرة، وانظر أين تصل أنت وموعظتك!

سبحان الله!انظروا هذه كلها معوّقات أمام من يريد أنْ يذْكر الله -عزَّ وجلَّ- بمعنى:فأنت تريد أنْ تذكر الله -عزَّ وجلَّ- فتخرج لك هذه المتبرّجة وهذه المعطّرة والمزينة، فما موقفك أنت؟هل تنسى دعوتك إلى الله -سبحانه

وتعالى؟طيب تدخل السجن،هل تنسى دعوتك إلى الله -عزَّ وجلَّ-؟ تسجن ظلماً وقهرًا، لكن لا تتزعزع، يجب أنْ لا تنسَ:

{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [سورة سيدنا يوسف عليه السلام: 39]

لا بُدَّ من عدم فقد الاتزان، والله أعطتني الحقنة، وحقيقة ما راعتني بها-الله يسامحها- آذتني بها، والحمد لله، وفعلاً أخذني البنج، وجاء الدكتور، والطّاقم الطّبي لإجراء العمليّة، فخرج مني شيء، أنا رأيته كأنه كتلة ضبابية، كرة ضبابية، هذه الكرة الضبابية هي حقيقة سعد الله، فوجدت جسدي فعلاً كثوب ملقًى على طاولة العمليّة،انظروا قال: سترى جسدك كثوبٍ بالٍ على الأرض، فهذه حقيقة سمعتُها ورأيتها، ثمّ هذه الكتلة بدأت تتفاقم أكثر، وتصعد، تصعد، تصعد، تصعد، إلى أنْ بدأتُ أرى فوق رأسي مثل الثريات، بأحجام متعددة وكثيرة، ثم ارتقت هذه الكتلة، فرأيت - طبعًا أنا أرى غرفة العمليّات،وأرى دكتور عزيز شكري-الله يرحمه-أرى الطاقم الطبّي،أرى بثينة الشمّري الدكتورة جالسة على جنب،لأنّها مسؤولة عن التخدير،وتراقب نسبة التخدير، وتراقب حالة المريض- ثُمَّ بدأت أرى مستشفى مدينة الطب كلّها، بعد ذلك قليلاً قليلاً بدأتُ أرى منطقة الباب المعظم والكرخ، وإذا بي مسيطر على بغداد، بغداد كلها أراها - سبحان الله العظيم- مِنْ هذه الكتلة،هذه الكتلة هي سعد الله، إلى أنْ ارتقيتُ إلى مكان ليس فيه ثريّات،وإنّما كلّه نور، غشيت هذا النور، دخلتُ في هذا النور، فسمِعْتُ قائلاً يقول لي: اخطب يا شيخ - سبحان الله- فبدأتُ أخطب خطبة رنانة قوية، المقدمة و الترضي عن الصحابة - رضي الله تعالى عنهم- وهذه

الديباجة التي نتشرف بذكرها، ونذكر سادتنا أهل البيت -رضي الله تعالى عنهم وعنكم- ودخلت في موضوع الخطبة، موضوع الخطبة عبارة عن ثناء وتوجيه، ثناء لمن؟أذكر الذين-سبحان الله-أسدوا إليّ معروفاً، وأذكرهم بخير، مِنْ ضمنهم زوجتي أمّ بهاء الدين-الله يحفظها ويعافيها- وكيف أنَّها تخدم طلبة العلم في المدرسة الدّينية، وكيف تصنع لهم الطعام وحدها، والآن الطلاب أصبحوا تقريبًا تسعين طالبًا في السنة الثالثة، فكانت كلّ سنة يقبل ثلاثون طالباً، وما قالت في يومٍ آخٍ! وجزاها الله خيرا، وكذا،وكذا...؛أنا أخطب في هذه الخطبة، أثني على بعض الموجودين، على الدكتور عزيز شكري.

والنصح والتوجيه: بدأتُ أنصح،أول من نصحت:نصحتُ الدكتورة بثينة الشمّري، بعد ذلك بعضُ النساء اللواتي رأيتهنّ في المستشفى أيضاً، هذا باختصار،وإذا بي في الواقع أيضاً أنا أخطب لهم وهم يسمعونني، وبصراخ الخطيب، بحيث أنّ المرضى في الغرف المجاورة عندما أخرجوني وأنا مازلت أخطب، يدفع المضمدون الفرَّاش السدية (السرير المتحرك) وأنا أخطب،وكلهم خرجوا من الغرف ينظرون من هذا المريض الذي يخطب هكذا؟.

وأذكر أني قلت للدكتور عزيز شكري -وهذا كان سبب هدايته وأيضاً سبب هداية الدكتور بثينة الشمّري وبعض النساء اللاتي رأيتهن بقرب غرفتي التي كانت محجوزة لي،كلهم وكلّهن هداهم الله -سبحانه وتعالى- فمن ضمن ما قلت للدكتور عزيز شكري: قلت له: يا دكتور أنا أشكرك،أجريت لي عملية في صدري فأجريت لك عمليّة في قلبك!بعد ذلك هو تأسّف ،وقال:أنا لو كنتُ أدري لأحضرتُ طاقماً إعلاميًّا، فسابقا كما تعلمون لا يوجد الموبايل- فأحضر وسيلة

الإعلام (الكاميرات واللاقطات)أسجل فيديو؛ لأنَّ هذا شيء غريب، ما حصل عندنا أبدًا.

الحمد لله ربّ العالمين،واستمر الدكتور عزيز شكري على صلاته التي كانت متقطعة من قبل، وإنْ شاء الله تعالى-أظن أنّ الله -عزَّ وجلَّ- ختم له بحسن الختام.

المهم يا أبنائي! أنا رأيت هذه الحالة، رأيت نفسي كرة ضوئية فوق، وأنظر إلى جسدي، والله أنظر كيف يفتحُ صدري، وفتحها للدمَّلة، وقلَعها من جذورها ... وإلى آخره، والحمدُ لله، الله -تبارك وتعالى- تمَّ الشفاء، بعد ذلك بثلاثة أيام تقريبا جئت للمستشفى ليرفعوا الخيط، وإذا بالكل يستقبلونني -سبحان الله-من باب المستشفى، ويقولون:هذا هو الذي كان يخطب! والدكتورة بثينة محجبة وتلبس اللباس الشرعي،فقلت لها: ،انظري الآن ما شاء الله! نور على نور قالت:أنت ماذا فعلت بنا!؟ ،الله ربّ العالمين -سبحانه وتعالى- يريد أنْ يرحم.

إذن: الثبات وعدم التزعزع يؤدّي بإذن الله -تبارك وتعالى- إلى الإنبات، ويأتي بالثمرات.

فالداعي إلى الله -عزَّ وجلَّ- لا بُدَّ أنْ يُخَضَّ، لا بُدَّ أنْ تأتيه الهزَّات، فيثبت،أم لا؟-نعوذ بالله -تبارك وتعالى- من السقوط - فأنصح نفسي وأبنائي الحاضرين الكرام، ومن يسمعني بعد ذلك-إنْ شاء الله تعالى- ويسمع هذه الوصية،وأنصحُ بها عموم المسلمين ذكوراً وإناثاً، وأخص السالكين والسالكات بوجه خاص جدًّا أنْ يُجاهدوا أنفسهم؛ لأجل أنْ يثبُتوا،لأجل ألَّا نتزعزع -نعوذ بالله- تبارك وتعالى- حتّى نصل إلى الثمرات.

هؤلاء الذين نراهم في هذه المرحلة الثالثة وإمامهم وأمامهم سيّدنا رسول الله -صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- هو إمامهم وأمامهم، وهو رسولهم -صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- وقائدهم ما تقول من كلمات كلها صحيحة لكنَّ أعظمها طبعًا هو رسول الله- صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- أنت لا تنزع هذه الصفة من النبي-صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- وتقول: القائد العبقري أو المفكر أو كذا، لا، هو رسول الله-صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- وهو إمام الرسل -عليه الصلاة والتسليم- وهو سيّد الخلق أجمعين - صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم- ثُمَّ بقيّة الصفات كلّها هي خاضعة له، هو يوجهها، وذكرتُ لكم من قبل كيف فهِم سيدي حضرة الشيخ عبد الله، وفهمنا:

{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [سورة القلم: 4]

-صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- الرسول الأعظم -عليه الصلاة والسلام- هو الذي يوجّه الأخلاق، وليست الأخلاق توجّه سيّد السادات -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-

إذن:في هذه المرحلة الذين تراهم هؤلاء هم الذين قامت دار الإسلام على أكتافهم، فكانت دار الخير والبركة والنور السرور،فنحن نحتاج إلى هذا، لذلك نحن لا بُدَّ أنْ ندرس هذه المراحل الثلاثة بعمق، نتذوقها، وهذا لا يكفي، لا تكفي الدراسة، و لايكفي التذوّق، وإنّما لا بُدَّ أنْ نتحقّق، لا بُدَّ أنْ نجاهد أنفسنا، لا بُدَّ أنْ نحاول أنْ نرقى إلى هذه المصافي، أنْ ندخل في رياض الصالحين

والصالحات -رضي الله تعالى عنهم-أجمعين، ونقترب من ساحة سيّد السادات -صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم-

فجاءت معجزة الإسـراء والمعراج،ومثلها كرامات الأولياء، وجاءت المقامات وجاءت الأحوال، كلّها ظهرت بهذه البركات، بركة ماذا؟ بركة الثبات، ونسـأل الله -عزَّ وجلَّ- أنْ يثبتنا وإياكم.

بارك الله فيكم، ونوّر قلوبكم وثبتكم، ووفقني لخدمة الأمة،إنّ ربنا- سـبحانه وتعالى- سميع مجيب، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أنْ لا إله إلا أنتَ، نستغفرك ونتوب إليك، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربِّ العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.